هل ستُحقّق صواريخ الجو الحوثيّة مُفاجأتها الكُبرى وتُحيّد السلاح الجويّ السعوديّ

مِثلَما دمّرت الصواريخ الباليستيّة أسطورة "الباتريوت"؟ ما هي التطوّرات الثّلاثة التي تُؤكّد أنّ العام السادس للحرب قد يكون مُختلفًا عن كُل الأعوام الأُخرى؟

مع اقتِراب حرب اليمن من اكتِمال عامِها الخامس ودُخولها العام السادس، تتصاعد حدّة المُواجهات بين قوّات التّحالف السعوديّ، وجماعة الحوثي وحُلفائها، ممّا يُنبِئ بأنّ الأيّام والأسابيع المُقبلة ستكون أكثر سُخونةً بعد انهِيار اتّفاق ستوكهولم للسّلام وفشَل مهمّة المبعوث الدوليّ مارتن غريفيث في تحقيقِ أيّ اختراقٍ ملموس.

هُناك ثلاثة تطوّرات رئيسيّة طَرأت على المشهد اليمني تؤكّد أنّ أوضاع التّحالف السعوديّ الميدانيّة قد تكون صعبةً للغاية، إن لم تَكُن حافلةً بالمُفاجآت غير السارّة على الإطلاق في الفترةِ المُقبلة:

الأول: كشف العميد يحيى سريع، النّاطق العسكري باسم تحالف الحوثي عن أربع منظومات دفاع جويّ

صاروخيّة جديدة، وتأكيده أنّ عام 2020 سيكون عام الدّفاع الجويّ بامتِياز.

الثاني: إعلان العميد تركي المالكي، النّاطق الرسميّ باسم التحالف السعوديّ، عن "إحباط هجومٍ إرهابي وشيك في باب المندب جنوب البحر الأحمر بزورق سريع مُسيّر عن بُعد، انطلق من ميناء الحديدة كان يستهدف سُفُنًا تابعةً للتّحالف".

الثالث: هُجوم بالصّواريخ الباليستيّة المُجنّحة والطائرات المُسيّرة استهدف مُنشآت نفطيّة تابعة لشركة أرامكو في ميناء ينبع غرب المملكة على شاطِئ البحر الحمر على بُعد 1400 كم من صنعاء.

ما يؤكّد دقّة منظومات الدفاع الجويّ الأربع التي أعلن عنها العميد سريع إسقاطها طائرةً مُقاتلةً سعوديّة من طراز "تورنيدو" يوم 14 شباط (فبراير) الماضي في أجواء الجوف وأسر طيّاريها الاثنين، أو أحدهم على الأقل حيًّا، فهذا النّوع من الطّائرات البريطانيّة الصّنع يُعتبر من النّوع المُتقدّم كنولوجيًّا، وليس من السّهل إسقاطها بوسائل الدفاع التقليديّة المعروفة.

وربّما تكون المُفاجأة الثانية التي لا تقل أهمية، وتُثير قلق القِيادة العسكريّة السعوديّة، الكشف عن استخدام تحالف الحوثي للزّوارق السّريعة المُسيّرة التي يتم التحكّم بها عن بُعد، لمُهاجمة أهداف في جنوب البحر الأحمر، ممّا يعني أنّ الحركة الحوثيّة اليمنية، باتت تستطيع تهديد سُفن التّحالف وإغراقها، وإغلاق باب المندب إذا أرادت، ودون أن تخسر مُقاتِلًا واحدًا.

من المُفترض أن يكون التّحالف السعودي الذي أطلق "عاصفة الحزم" في آذار (مارس) عام 2015، وبمُشاركة طائرات مُتقدّمة من عشر دول، بينها الإمارات وقطر إلى جانب سِلاح الجو السعوديّ تحت عُنوان عودة الشرعيّة، قد حسَم هذه الحرب لصالحه في أسابيعٍ معدودةٍ بسبب "ضعف" خصمه العسكريّ، أيّ تحالف جماعة الحوثي، والرئيس اليمني السّابق علي عبد الله صالح وحزبه (المؤتمر) (قبل انهيار هذا التّحالف باغتيال الأخير قبل عام)، ولكنّ صُمود الجيش اليمني وقوّات المُقاومة الدّاعمة له التّابع لجماعة الحوثي، وتطويره لقُدراته العسكريّة طِوال السّنوات الخمس الماضية، أدّى إلى قلب كُل مُعادلات القوّة على الأرض لصالحه، والأكثر من ذلك تدمير أهداف استراتيجيّة في العُمق السعوديّ مِثل الهجَمات الصاروخيّة وبالطّائرات المُسيّرة التي ضربت مُنشآت أرامكو النفطيّة في بقيق وخريس، مركز أعصاب الصّناعة النفطيّة السعوديّة وعطّلت إنتاجها لعدّة أسابيع.

امتلاك منظومات دفاعيّة جويّة قادرة على تحييد الطائرات السعوديّة الأمريكيّة الصّنع مِثل "إف 16"

من قبل جماعة الحوثي إذا تأكّدت فاعليّتها ودقّتها، فإنّ هذا قد يعني إنهاء التفوّق الجويّ السعوديّ الذي يعني السّيطرة على أجواء اليمن واختِراقها بفاعليّة، وشن غارات مُكثّفة بحُريّةٍ مُطلقةٍ.

الحذر مطلوبٌ وتجنّب إصدار أحكام قاطعة أيضًا، لأنّ سلطات ال سعوديّ أنفقت أكثر من مئتيّ مِليار دولار على شِراء الطّائرات والمعدّات العسكريّة المُتقدّمة جدًّا من أمريكا وبريطانيا وفرنسا في السّنوات القليلة الماضية، ولكن تجارب السّنوات الخمسة من عُمر هذه الحرب أكّدت أنّ "داوود" اليمني "الضّعيف" استطاع أن يُطوّر صواريخ باليستيّة نجحت في الوصول إلى الرياض وجدّة والطائف وخميس مشيط، ومطارات جيزان ونجران وأبها، وتعطيل المِلاحة فيها، وتدمير أسطورة صواريخ "باتريوت" الأمريكيّة الباهِظة التّكاليف.

دولة الإمارات التي أثخنتها جِراح هذه الحرب بشريًّا وماليًّا، احتفلت قبل أسابيع بعودة جميع قوّاتها من حرب اليمن، تَجنّبًا لخسائر أكبر عسكريّة واقتصاديّة، ومن جانبٍ واحدٍ وربّما دون التّشاور مع الحليف السعودي، ولا نستبعد أن تحذو القوّات السعوديّة حذوها في الأشهر المُقبِلة إذا وجدت الصّيغة المُلائمة التي تُقدّم لها السّلم للنّزول من فوق شجرة هذه الحرب العالية جدًّا والمليئة بالأشواك التي صعَدت إليها قبل خمس سنوات بالتّمام والكمال.

لا نستبعد في هذه الصّحيفة "رأي اليوم" أن يكون هذا التّصعيد العسكريّ على الجبَهات اليمنيّة من الجانبين هو مُقدّمة، أو ورقة ضغط لفتح قنوات التّفاوض مُجدّدًا، خاصّةً أنّ الطّرف الذي من المُفتَرض أن يكون الأضعف، لم يَعُد كذلك، والشّيء نفسه يُقال عن الطّرف الآخر الأقوى الذي دخل هذه الحرب وهو واثِقٌ من "الحزم" و"الحسم" في أيّامٍ معدودةٍ.. واللهُ أعلم.

ويشهد اليمن منذ 2014 حرباً مدمرة تتواضع أمامها جرائم الحرب بين التحالف السعودي – الإماراتي والميليشيات التابعة له من جهة، والحوثيين الشيعة من جهة ثانية بذريعة اعادة عبد زربه منصور هادي الى سدة الحكم، حيث تسببت هذه الحرب بمقتل وإصابة عشرات الآلاف، بينهم عدد كبير من النسوة والأطفال بحسب احصائيات منظمات إنسانية، ناهيك عن المجاعة، والأمراض المزمنة، التي خلفها الحصار، الذي فرضه التحالف على الشعب اليمن الفقير.